مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد الثامن ،العدد الأول أكتوبر ،2022 ص- ص:718-761

الأدوار الاجتماعية للزوايا العلمية بالجنوب الغربي للجزائر خلال المرحلة الاستعمارية

Scientific Institutions of the South-West of Algeria during the colonial phase

شنتير نجاة (*) طالبة دكتوراه – قسم العلوم الإنسانية– جامعة أحمد دراية. chentir.nadjat@univ-adrar.dz	د. خير الدين يوسف شترة قسم التاريخ والحضارة الإسلامية– جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، kchatra@sharjah.ac.ae

تاريخ الاستلام: 22 /2022/05 تاريخ القبول: 25 /2022/09 تاريخ النشر: 11 /2022/10

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع الزوايا العلمية بالجنوب الغربي للجزائر خلال المرحلة الاستعمارية وكيف كانت هذه الزوايا بمثابة الحصن الحصين للأمة والمجتمع، في محافظتها على سلامة العقيدة الإسلامية والمبادئ الوطنية الصحيحة، وكيف صانت القيم الإنسانية ورسَّخت مكارم الأخلاق، وكيف ساهمت في نشر ثقافة التعاون الاجتماعي، وكرست مبادئ التآلف المجتمعي، فكانت المأوى الآمن لعابري السبيل، والسند الوفي للفقراء والمساكين والمحتاجين، والقلعة الحصينة لمقومات المجتمع من عادات وتقاليد وأعراف.

وهذا بحثاً عن جملة إجابات تتعلق ببعض الأسئلة الجوهرية في هذا الموضوع، ومنها: كيف نشأت وتطورت الزوايا في مجتمع الصحراء الجزائرية؟ ما هي الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم الجنوب الغربي للجزائر خلال القرنين (11هـ/12هـ)و(17م/18م)، ثم ما هي الأدوار الدينية والتربوية لهذه الزوايا؟ وما مظاهر نشاطها الاجتماعي؟ وكيف ساهمت الزوايا العلمية في تنشيط المجالات الاجتماعية والثقافية خلال فترة الركود والسكونية التي ضربت بنية المجتمع الجزائري عموماً، وساكنة الأقاليم الثلاثة للجنوب الغربي خلال المرحلة الاستعمارية؟

الكلمات الدالة: الزوايا العلمية – الطرق الصوفية– تاريخ الجزائر– الجنوب الغربي للجزائر– الاستعمار الفرنسي.

Abstrac: This study tackles the topic of the Scientific Institutions of the South-West of Algeria during the colonial phase. By means of discussing how these Institutions served as the fortress of the nation and society in

* المؤلف المرسل.

maintaining the integrity of the Islamic Faith and the right national principles. How it safeguarded the human values and entrenched the ethical values. How it contributed to the dissemination of the culture of the social cooperation, also it enshrined the principles of the societal harmony. As it was the safe shelter for the passers-by, the loyal support for the poor, the destitute and the needy, and the fortified fortress of the society's constituent customs, traditions and mores.
This research is about a set of answers concerning some of the substantive questions on this topic, including: How the Institutions originated and evolved in the society of the Algerian desert? What are the leading institutions of the scientific and cultural movement in Algeria's South-Western region during the two centuries (11 AH / 12 AH) and (17 AD / 18 AD), Then what are the religious and educational roles of these Institutions? What are the aspects of its social activity? How it embodies its cultural role of a social dimension? How much have the region's scientists contributed to revitalizing social and cultural life? How did the Scientific Institutions contribute to the revitalization of social and cultural spheres during the period of stagnation and dormancy that struck the structure of the Algerian society in general, and of the three territories of the South-West during the colonial phase?

Keywords: The Scientific Institutions – the Sufi Paths – the history of Algeria – the Algeria's South-West - the French Colonization.

1. مقدمة:

أ. الإطار الموضوعي للبحث:

عرف تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والديني زوايا عظيمة كان لها دور عظيم في نشر الوعي الديني والثقافي، وتحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية، كما كان لها الدور الكبير في الحفاظ على الهوية الوطنية ومقومات الشخصية الوطنية.

وإذا كانت الربطات قد نشأت أول ما نشأت بالمشرق في عهد الدولة العباسية، وهي عبارة عن ثكنات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن الدولة ودفع المغيرين والهاجمين عليها من النصارى، كأربطة العباسيين بثغور الشام، فإنَّ الرباط الجزائري كان أكثر نفعا وأبعد أثرًا، إذ أن مهمته لا تقتصر على الدفاع فقط، بل يزيد على ذلك بأنه معهد علمي تُدرس به

سائر العلوم وخاصة الدينية، وهو مكتبة جامعة تضم نفائس الكتب والمخطوطات، وهو مستشفى لعلاج المرضى، ومأوى يضم الفقراء والمساكين ومن لا ملجأ لهم، ولم تعرف الجزائر الزوايا إلا بعد القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها، وخاصة خلال القرن العاشر الهجري،السادس عشر ميلادي بعد سقوط الأندلس، وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية.

كانت الزوايا العلمية بالجنوب الغربي للجزائر خلال المرحلة الإستعمارية الأوربية بمثابة الحصن الحصين للأمة والمجتمع، فقد حافظت على سلامة العقيدة الإسلامية والمبادئ الوطنية الصحيحة، وصانت القيم الإنسانية ورسَّخت مكارم الأخلاق ونشرت الخير والسلام والعدل، ونبذت الظلم والطغيان، وكانت لها أدواراً مشرفة إزاء الحملات العسكرية والاستشراقية والتنصيرية للإستعمار الأوروبي الذي سعى جاهداً لطمس معالم الهوية الإسلامية ومقومات الوطنية لأهل الجنوب الجزائري، وعن هذه الأدوار يقول الشيخ مُحَمَّد المأمون القاسمي (شيخ زاوية الهامل): «إن رسالة الزوايا كما يتضح لكل دارس نزيه، هي رسالة شاملة شمولية هذا الدين، إنها رسالة حضارية ارتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطاً وثيقًا، فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم؛ بل كانت وظائفها أشمل وأعمالها أعم وأوسع، فهي معقلُ للتربية والجهاد، ومعهدٌ للعلم والعمل، وموطنٌ للتلاوة والذكر، ومجلسٌ للإصلاح والقضاء، ومكانٌ للرأي والمشورة، وملتقى للتعاون والتضامن والتكافل ..».[1]

وعن أدوارها الاجتماعية خلال المرحلة الاستعمارية فإن هذه الزوايا قد ساهمت في نشر ثقافة التعاون الاجتماعي، وكرست مبادئ التآلف المجتمعي، فكانت المأوى الآمن لعابري السبيل، والسند الوفي للفقراء والمساكين والمحتاجين، والقلعة الحصينة لمقومات المجتمع من عادات وتقاليد وأعراف.

ب. المشكلة البحثية:

تهدف الإشكالية الرئيسة للدراسة إلى البحث في الأدوار الاجتماعية لزوايا العلم بالجنوب الغربي للجزائر (حواضر توات والساورة وتندوف) خلال الحقبة الاستعمارية، ومن

الإشكاليات الفرعية للدراسة: كيف نشأت وتطورت الزوايا في مجتمع الصحراء الجزائرية؟ ما هي الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم الجنوب الغربي للجزائر خلال القرنين (11هـ/12هـ)و(17م/18م)، ثم ما هي الأدوار الدينية والتربوية لهذه الزوايا؟ وما مظاهر نشاطها الاجتماعي؟ وكيف تجسَّد دورها الثقافي ذو البعد الإجتماعي؟ وما مدى إسهامات علماء المنطقة في تنشيط الحياة الاجتماعية والثقافية؟ وكيف ساهمت الزوايا العلمية في تنشيط المجالات الاجتماعية والثقافية خلال فترة الركود والسكونية التي ضربت بنية المجتمع الجزائري عموماً، وساكنة الأقاليم الثلاثة للجنوب الغربي خلال المرحلة الاستعمارية؟

ت. الفرضية:

تفترض الدراسة – بالاعتماد على جملة المصادر الأولية– أنه كان لزوايا العلم بالجنوب الغربي للجزائر (حواضر توات والساورة وتندوف) خلال الحقبة الاستعمارية، أدواراً اجتماعية رائدة حافظت من خلالها على تماسك بنية المجتمع، وعلى حماية مقومات الأمة من الإندثار والتزييف.

ث. المنهجية المتبعة في البحث:

اعتمد البحث على عِدة مناهج علمية، أهمها المنهج التاريخي من خلال دراسة وتتبع تسلسل الأحداث التاريخية والسياسية المرتبطة بالفترة الزمنية المحددة، بالإضافة للمنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الأحداث والوقائع، في حين أنَّ المنهج التحليلي أدى دوراً عظيماً في تحليل الأحداث ورصد أي مُغالطات تاريخية جاءت في بعض المراجع التي تحدَّثت عن الفترة الزمنية المدروسة ومن ثم نقدها وتمحيصها .

وقد استقت الدراسة مادتها في المقام الأول من المخطوطات التاريخية، كما اعتمدت على جملة المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع وتطرقت إلى بعض جوانب هذه الفترة وما يليها من أحداث، زيادة على ذلك فإنها لم تغفل عن الكتابات المعاصرة، فضلاً عمَّا ورد في المراجع اللاحقة من معلومات وإحصائيات تناولت جوانب ذات صلة بالموضوع.

1. لمحة عن نشأة الزوايا في الجزائر وتطورها في مجتمع الصحراء"الماهية والمميزات".

إن من أبرز الأدوار التاريخية للزوايا العلمية في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية هو المحافظة على المقدسات الإسلامية وتنظيمها وضمان تمويلها، وحتمية الدراسة البحثية تستلزم التطرق لها والتعريف بها، لذا يجدر بنا الرجوع إلى الأصل اللغوي والاصطلاحي لمصطلح **زاويا**.

أ. **الزاوية لغة:** كلمة مشتقة من الفعل "أنزو"، و"زوى" بمعنى اتخذَّ ركنًا من أركان المسجد للاعتكاف، وفي الأصل مأخوذة من فعل "زوى" و"أزوى" أي ابتعد وانعزل، وفعل "زوا الشيء يزويه" أي جمعه، وفي الحديث النبوي الشريف يقول الرسول (ﷺ): ﴿**إنَّ اللَّهَ زَوَى لي الأرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي مِنْها**﴾[2] وفي حديث آخر: ﴿ **اللَّهمَّ ازْوِ لنا الأرضَ وهوِّنْ علينا السَّفرَ أعوذُ بك من وَعْثاءِ السَّفرِ وكآبةِ المُنقلبِ**﴾ [3].

كما يطلق على الزوايا لفظ الخوانق وهي كلمة فارسية تعني "بيت"، وأصلها "خانقاه" وهي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وقد شرح ذلك الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم في تعريفه للزوايا: «جمع زاوية مشتقة من زوى أي جمع، لآن فيها تجتمع الضيوف والفقراء وطلبة العلم ويجمع المال لها بالطرق المشروعة لتمويلها وتسيير نظامها»[4]، كما تعني الركن. ولما تكلم مؤلف (قوت القلوب) على أقسام العلماء ذكر منهم الخاصة وهو «العالم بعلم التوحيد والمعرفة وهؤلاء أهل الزوايا وهم المنفردون»، ويقول الشيخ السنوسي: «إن كلمة الزاوية دال على معناها وهي من زوى، يزوي إذا جمع الشيء، وفي الجزائر يُطلق لفظ الزاوية على موضع أُعِد للعبادة ولتعليم القرآن الكريم، يشمل على مرافق لإيواء الطلبة وعابري السبيل، أو على مجموعة من الأبنية ذات الطابع الديني وهي تشبه الدير أو المدرسة»[5]، ويقول دوماس: «أن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ومجانية للضيافة وهي بهذين الوصفين تشبه كثيراً الأديرة في العصور الوسطى»[6] ويطلق عليه بالأمازيغية تسمية « ثْمعمَّرث» التي تفيد معنى العمار (ما ينافي الدمار)، من هذه المعاني كلها نستخلص المعنى الاصطلاحي للفظ "الزاوية" الذي جمع بين المعنى والمكان والدور المناط بها.

ب. **الزاوية اصطلاحاً**: لعل أقدم تعريف لها هو ما ورد عن ابن مرزوق الخطيب (ت781هـ- 1319م) في كتابه (المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن) في قوله: «هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين»[7]. ثم ذكر أن الزاوية هي ما يُعرف في المشرق بالرباط، على أننا في دائرة المعارف الإسلامية نجد لها تعريفا شاملاً: «يطلق هذا اللفظ في شمال إفريقيا على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني: غرفة للصلاة، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين وغرف للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها»[8]، واستناداً لتعريف الشيخ مُحَّد باي بلعالم فهي: «مؤسسة دينية روحية إسلامية»[9]، ولتعريف الدكتور رابح علي فهي: «مراكز مشايخ الطرق الصوفية في الجزائر والمغرب الإسلامي بصفة عامة، ويعتبر التعليم العربي الديني إحدى وظائفها الأساسية إلى جانب العبادات والأذكار الصوفية»[10]. فهنا كلا التعريفين يتفق على أن الزاوية مكان للتعليم الديني وأداة للعبادة والعناية بأصول الإسلام .

ويُعرفها الشيخ عبد القادر العثماني(شيخ زاوية طولقة) بأنها: «الرمز الأشهر العريق لهذا الوطن لأنها تحمل القرآن الكريم ولا يشعر بأهمية هذا الرمز إلا من فتح الله قلبه بنور الإيمان»[11] ويصفها الفرنسي "كاريت" (Karit) بأنها: «مأوى للحجاج وعابري السبيل والبؤساء ومقر تُعالج فيه المرضى، وهي مؤسسات تمتلك بداخلها مدارس يُعلم فيها القرآن واللغة العربية، وأسموها بهذا الاسم لانزوائها على المدن أو لأنها في زاوية المدينة وفي كل ركن، وهي تشبه المدارس في تخطيطها وأجزائها»[12].

أما عند أهل الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية فإنَّ مصطلح الزاوية يشار به إلى «تلك الصدقات الجارية التي يحبسها الشيخ في حياته وبعد وفاته من خلال نص موثق ومحدد لينتفع بها عامة الخلق ويحبس لها جملة من الأملاك، ولها مكان وموقع خاص يشرف عليها الشيخ في حياته ثم يتعاقب عليها أبنائه بعد وفاته، أو يتعاقب عليها المقدمين للطريقة أو للزاوية»[13].

نلاحظ من هذه التعريفات أنها كلها تشترك في اعتبار الزاوية مكان لتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتعليم اللغة العربية، ومكان تؤدى فيه مجمل العبادات، ثم زادت على ذلك بأن أصبحت فضاءً آمناً لاستقبال عابري السبيل، وحجاج بيت الله، وطلاب العلم،... وانطلاقاً من ذلك أمكننا تصور الأدوار الأساسية التي أنيطت بالزاوية عموماً.

إن الزاوية بكل هذه المعاني هي المجال الحيوي الذي أريد له أن يكون أداة لإعادة صياغة المنزوين فيها، علميًا وتربويًا وروحيًا ونفسيًا واجتماعيًا، فهي «ركيزة للتصوف وانتشاره، ولصياغة منهجية حركية تهتم بعدة أمور تعجز عنها الدولة، فهي خلية اجتماعية يرتادها الأهلون لقضاء حوائجهم، كما أنها مكتفية بذاتها من جميع النواحي الاقتصادية، ويؤم الزاوية الشباب والشيوخ لاعتبارها جامعة عليا يتلقون فيها الدروس الشرعية من لدن علماء ومشايخ الزاوية»[14] وإلى جانب ذلك كله كانت الزاوية خلال مرحلة الدراسة تغرس في نفوس الشباب روح الجهاد، لذلك كانت تهتم بعنصر التدريب العسكري

ج- نشأة الزوايا في الجزائر:

إن الزاوية نشأت لهدف ديني وسعت للاندماج الاجتماعي وللتعارف بين أفراد المجتمع لتوحيد القبائل عن طريق الوعظ والإرشاد وحل النزاعات القائمة بينها، فالزاوية كانت ولا زالت بمثابة منارة العلم ومركز للتوعية، يعود تاريخ نشأتها في الجزائر إلى ما قبل العهد العثماني، ولكل زاوية رئيسة زوايا فرعية على حسب عدد مريديها، وقد اختلف المؤلفون حول ظروف نشأة الزوايا في الجزائر حيث يذكر يحي بوعزيز: «أن مؤسسي الزوايا هم رجال دين متصوفون متزهدون بدأت حركاتهم تظهر بالمشرق الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري»[15]، ثم في فترة لاحقة انتقلت حالة الزهد هذه إلى بلاد المغرب الإسلامي.

ويبدو أن التصوف في الجزائر بدأ تصوفًا نظريًا ثم تحول ابتداءً من القرن العاشر الهجري (السادس عشر ميلادي) ليُصبح تصوفاً عمليًا، اصطلح عليه تاريخياً بتصوف الزوايا والطرق الصوفية الذي كانت غايته السامية تغطية المناطق المفتقرة للعلم والإرشاد، فقد كانت سابقا مكانا للعبادة والزهاد ثم تطورت وانتشرت في المدن والأرياف، و«أقدم زاوية عرفتها الجزائر هي

زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن السادس هجري والقرن الثامن هجري»[16]، غير أن الغبريني صاحب (عنوان الدراية) يذكر زاوية أخرى هي: «زاوية أبي زكريا يحي الزواوي التي كانت عبارة عن بناء صغير ملحق بالمسجد يقوم فيها صاحبها بالتعبد والخلوة بمفرده ويعقد فيها حلقات الدروس بالمسجد»[17].

ومجمل القول أن نظام الزوايا في الجزائر يعود الفضل في نشأته إلى شيوخ الطرق الصوفية منذ القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) ثم انتشرت في ربوع القطر الجزائري بانتشار الطرق الصوفية، حيث اتخذ المتصوفة من الزاوية مكانا لنشر أفكارهم ومناهجهم الصوفية، وتلقين أتباعهم المبادئ الصوفية وأورادها، فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والأتباع ويعلم فيه الطلبة ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علمًا على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس رباط سيدي فلان أو زاوية سيدي فلان أمثال: زاوية وضريح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية ولي دادة، وزاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني، وهناك زوايا وخلوات سيدي الكتاني، وسيدي المناطقي ..... وتتعدد بعدها الزوايا وتتنوع في كامل ربوع القطر الجزائري يتنوع وتفرع الطرق الصوفية، حتى أن بعض الباحثين أخذ يصنفها إلى تصنيفات شتى كزوايا قديمة وأخرى حديثة من حيث النشأة، أو زوايا المرابطين وزوايا العلم وزوايا العبادة، أو «زوايا الطرق الصوفية التي اعتبروها غير ذات أهمية كونها كانت في انتشارها خارج المناطق الإقليمية، فهي زوايا للاجتماع الدوري لأصحاب الطريقة»[18].

ولا يمكن بأي حال أن نأخذ بالتصنيف الأخير، لأن الزوايا العلمية في نشأتها تتبع التصوف منهجًا وطريقة وأسلوباً في الحياة ولا تتبع الطريقة فقط، وهي «منهج للتصفية الخلقية والتربية الروحية وتزكية النفس من الأهواء وتطهيرها من الأدران وفقا لأصول شرعية وهو مرتبط بمعرفة حقيقة الإنسان ذاته»[19]، وهي عامة ومشاع للجميع (زماناً ومكاناً)، وإذا اقتصرت الزوايا التي تتبع الطرق الصوفية في نشاطها على ذات الإقليم الذي نشأت فيه ولا تتجاوز حدوده وأن تكون غايتها فقط هي لغرض الاجتماع الدوري لأتباع الطرق الصوفية فكيف نفسر الانتشار للواسع لهذه الزوايا في كامل القطر الجزائري (في الحضر وفي الأرياف)؟ وهنا

نستشهد بقول ابن خلدون (732هـ-808هـ)في مقدمته: «لما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده جنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص القبول على العبادة باسم الصوفية المتصوفة»[20] .

وقد شرح الأستاذ طيب جاب الله باستفاضة في مقاله (أهمية الزوايا والطرق الصوفية) حالة الارتباط الوثيق بين الطريقة الصوفية والزاوية وأن كلاهما ساهم في نشر الإسلام وتوطيد قواعده، وفي تسهيل اكتساب العلم والمعرفة خصوصًا منها العلوم الدينية واللغوية[21]، ليخلص في النهاية أن الطرق الصوفية تعد أحد أهم العوامل التي ساهمت في تأسيس الزوايا العلمية وتعددها بتعدد وتنوع الطرق وتفريعاتها، وهذا لارتباطها المعنوي بشيخ الطريقة الصوفية، وقد «بلغ عدد الزوايا في الجزائر خلال فترة الدراسة 349 زاوية »[22]

وكانت خارطة انتشار الزوايا في الجزائر خلال القرنين (12-13هـ/ 18-19م) متباينة، «لكن التركز الكبير لها كان في ثلاث مناطق على الخصوص في: الجهة الغربية، وفي جهة الوسط وبالذات في منطقة القبائل، بالإضافة إلى جهة الصحراء، وقد يعود هذا التباين إلى همة شيوخ الزوايا في هذه المناطق»[23] .

كما يمكن القول أن: «الزوايا المنتشرة في الأرياف التي يرجع الفضل في تأسيسها إلى أتباع الطرق الصوفية، كانت لها أدوارًا عديدة أكثر من تلك التي كانت منتشرة في المدن، وخصوصاً في مرحلة المقاومات الشعبية ضد الغزاة»[24] . ويتضح من خلال ما سبق ذكره أن عمل الزوايا لم يقتصر على احتضان طلبة العلم والتكفل بالفقراء والمساكين وعابري السبيل، وحل مشاكل الناس.... بل تعداه إلى مساندة الثوارات المسلحة والمرابطة في سبيل الله، والمساهمة في الحفاظ على الهوية الوطنية.

د-زوايا الجنوب الغربي الجزائري:

مما اشتهر به الجنوب الغربي الجزائري خلال فترة الدراسة هو «كثرة زوايا العلم وفعالية نشاطها التعليمي والديني والروحي والثقافي والاجتماعي»[25]، ولعل من أشهرها في منطقة توات: زاوية قصر تمنطيط، وزاويتي بودة وملوكة، وزاويتي كنتة وكوسام بالإضافة إلى العديد من

الزوايا الأخرى التي كانت منتشرة في أولاد سعيد وتيميمون بمنطقة قورارة، وأقبلي وعين صالح بمنطقة تيديكلت.

ومعظم هذه الزوايا كانت في الأصل تتبع جوامع ومساجد تم تأسيسها بداية بغرض العبادة، ثم يروم أهل البلدة أو القصر إلى أن يلحقوا بها زوايا أو كتاتيب لحفظ القرآن الكريم للناشئة ثم «لا تلبث أن تتطور باستقرار عالم كبير أو شيخ طريقة صوفية بها، وهكذا كانت الزوايا في بداية نشأتها، وكلها كانت من مال المحسنين وليس عليها أي سلطة سياسية»[26].

وبالكاد يخلو قصر من قصور توات خلال هذه الفترة من زاوية أو زاويا مُشيدة تشع علمًا وبركة، وعليها عالم نذر نفسه لخدمة أهل العلم انجذب إلى زاويته طلابًا ينشدون التفقه في دينهم، حتى أن أحد الباحثين جزم بالقول: «أن توات هي الزاوية، والزاوية هي توات ونشأة كلاهما مرتبط بالآخر»[27] حتى أن اسم الزاوية كان مرتبطاً باسم المكان الذي شيدت فيه، فدخلت تسمية الزاوية في تسمية الكثير من القرى عند إنشائها مثل: «زاوية حينون بأولف التي يعود تاريخ إنشائها إلى دخول الإسلام للمنطقة، والتي أُسس مسجدها في القرن الثاني هجري أي سنة 164 هجرية»[28]، بالإضافة إلى زاوية سيدي سليمان بن علي التي ظهرت في بداية القرن السابع الهجري، وزاوية كنتة التي أسسها الشيخ مُحَّد الكنتي، وزاوية الدباغ بدائرة بتميمون وغيرها كثير...

وقد جمعت زوايا إقليم توات كل الأنواع التي عرفت بها الزاوية آنذاك، فقد كانت تتنوع بين زوايا للعلم والقرآن الكريم، وزوايا للإطعام والإصلاح الإجتماعي، ثم أنها شهدت تطورات كبيرة في مهامها وأدوارها وهياكلها بعد القرن التاسع هجري والخامس عشر ميلادي، حسب الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالمنطقة التي نشأت فيها، حتى أن بعض الزوايا قامت بكل الأدوار (التعليم والعمل الجهادي، والإصلاح الإجتماعي والإطعام).

أما عن منطقة تندوف ثاني أقاليم الجنوب الغربي فإن «نشأة الزوايا بها تعود إلى القرن (13هـ/19م) حين استقرت بها قبيلة تجاكانت التي أسست لها أول مسجد وزاوية بالمنطقة على يد الشيخ مُحَّد المختار بن بلعمش، فكانت بذلك الركيزة المعمارية الأولى للإشعاع الديني

والعلمي والثقافي الذي سيعم لاحقاً كل منطقة تندوف، مما كان سبباً في توافد الطلاب عليها من كل حدب وصوب، فتخرَّج منها الكثير من العلماء والفقهاء والأئمة والحفاظ والمعلمين من بينهم الشيوخ: مُحَمَّد محمود التركزي، وسيدي المنير، وسيدي اللعرابي الذين ساهموا في بث روح التسامح والأخوة والترابط بين أهل المنطقة»[29].

ويذهب معظم الباحثين إلى القول بأن: «بطن الموساني من قبيلة تجاكانت الذين ينتسب إليهم آل بلعمش مؤسس أول زاوية بالمنطقة قد توارثوا العلم والقضاء واشتهروا بلقب المرابطين لرباطهم بمحاضرهم وزواياهم العلمية لحماية الدين والعلم، والمعروف عن قبيلة تجاكانت أنها كانت من القبائل التي عاضدت دولة المرابطين اللمتونية الصنهاجية عند تأسيسها، إذ كانت تشكل ربع جيشها المؤسس لها»[30].

ويذكر الباحث عبد الله حمادي الإدريسي: «أن ابن بلعمش عمل على جمع بني قومه في حاضرة يأوي إليها الطلبة والعلماء»[31]، ويذكر قاضي تمبكتو العلامة الشيخ مح محمود الأوراني: «أن أول من بنى تندوف هم: لمرابط بن الأعمش من أولاد مسان (موساني) ذلك العالم الولي الصالح القاضي المشهور والعبد بن الحرطاني جد أهل العبد صاحب الضيافة والتقدم في الأمور وكان معهم رجال من كل قبيلة ... فبنوا المدينة على ثلاث فرق، فالرماظين بنوا على حدة، وبني أولاد مسان (موساني) قصر مشرق الرماظين وبين كل قصر مسافة قليلة جدا وتندوف كانت هي اسم للجميع»[32]، وعن سنة التأسيس يذكر الأوراني: «أن بناء تندوف يعود إلى القرن الثالث عشر أي في عام 1270هـ/1853م» [33] وهو ما يؤكد أن إنشاء الزاوية في هذه المنطقة كان حديثا رغم ذكر وجود تندوف القديمة لأسرة ابن بلعمش، فالواضح أن هذا الأخير تم بناؤه فوق موضع مسجد البلدة القديم حسب ما ذكره السوسي في (المعسول): «أن الشريف أحمد الصقلي زارها عام 925هـ/1519م»[34] وهو ما ذكره أيضاً القاضي محمود كعت في (فتاشه): «ويصل عمر هذا المسجد اليوم إلى حوالي 172سنة»[35].

ونستشهد هنا بقول العلامة مُحَمَّد المختار السوسي عن الزاوية الأعمشية عند حديثه عن المدارس العلمية إذ يقول: « تقع المدرسة التندوفية في تندوف أي في التخوم السوسية

الصحراوية، وكان آل ابن الأعمش منذ أسسوا تلك المدينة على يد قومهم تاجاكانت (تاجكنت) رفعوا هناك راية التدريس، فكان يَدرس فيها كل من مرَّ بهم من فطاحل الشناقطة كمحمد يحي الولاتي»[36]، ومما يمكن الإشادة به في موضوعنا هو العناية الخاصة التي أولاها آل بلعمش في إنشاء الزاوية التي اشتهرت وذاع صيتها العلمي في كل الأقاليم المجاورة، فانجذب لها العلماء والطلاب والأولياء والصالحين من أجل نهل العلم الشرعي من مصادره .

أما عن منطقة الساورة ثالث أقاليم الجنوب الغربي في هذه الدراسة فقد نشأت بها هي الأخرى زاوية للعلم لم تكن محدودة في مجالها الجغرافي، كما لم تكن رهينة الدور الذي أنشأت من أجله؛ بل أنها تكيفت مع التحديات التي فرضها عليها واقعها الجغرافي والزماني، وكان منشأها على يد الطرق الصوفية التي تأسست في منطقة الساورة على يد مشايخ صوفيين، ومنهم مشايخ الطريقة الشاذلية الذين أخذوا هذه الطريقة من طريق سيدي أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي النسب دفين مليانة بالجزائر (927هـ/1520م) «ويبدو أن مشايخ الطرق الصوفية الذين ذاع صيتهم بالمنطقة ساهموا في تأسيس زاوية قائمة بذاتها في العمل ومتفرعة الطرق حسب الأصول والسند عن الطريقة الشاذلية الأم في ظروف سياسية طبعها غياب السلطة المركزية الحاكمة وظروف اقتصادية غاب فيها الأمن وانتشار ظاهرة قطاع الطرق »[37].

وأهم زوايا هذه الطرق الصوفية إنتشاراً بمنطقة الساورة هي زوايا كل من: «الطريقة الكرزازية والمعروفة بالطريقة الموساوية، والطريقة الشيخية أو البوشيخية، والطريقة الزيانية القندوسية ومن الزوايا التي تجاوز تأثيرها المجال الجغرافي الذي ظهرت فيه: زاوية سيدي عبد الرحمن بن السهلي التي أسست بوادي قير، وكان مؤسسها قد أخذ تعاليم زاويته من الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، بالإضافة إلى الزاوية الفوقانية ببني قومي التي عُرفت فيما بعد بزاوية سيدي إبراهيم بن مُحَّد (المتوفي سنة 1519م)، وكذلك الزاوية التحتانية ببني قومي التي أسسها سيدي مُحَّد بن عثمان القلاوي نسبة إلى قرية إجلي (إقلي)، يضاف إلى ما سبق من الزوايا؛ زاوية سيدي زكري بن زكريا بن مولاي ناصر بن مولاي عبد الله»[38]، وقد كان التواصل العلمي

قويًا بين هذه الزوايا فيما بينها نظراً لتقاربها الجغرافي، ولأنها أيضاً تنتمي إلى الأصل الواحد في السند الصوفي (الطريقة الشاذلية) فتكاملت الطرق الثلاث في ترسيخ الثقافة الصوفية بمنطقة الجنوب الغربي .

والجدير بالذكر أنه كان للطريقة الكرزازية وشيوخها «الأثر البارز في تكوين وصقل شخصية سيدي أمُحَمَّد بن أبي زيان وكذلك الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد السماحي الذي تناول أصول ومبادئ علم التصوف على يد الشيخ سيدي أحمد بن موسى مؤسس الطريقة الكرزازية، ورغم الظروف الصعبة التي مرت بها الزاويا الكرزازية والزيانية خاصة في الحقبة الاستعمارية التي كانت سببًا في مصادرة أوقافها، لكنها ظلت تدافع عن تماسك المجتمع وفق مدونة التنظيم الديني والصوفي، وعلى تقوية الروابط الاجتماعية على أساس الدين خاصة في غياب سلطة الدولة ومؤسساتها التي ينتظم حولها المجتمع»[39] .

2. الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بأقاليم الجنوب الغربي للجزائر خلال القرنين (11هـ /12هـ) –(17م/18م).

أ– الزوايا العلمية الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم توات:

يرجع الفضل في النهضة العلمية والثقافية بإقليم توات إلى جملة العلماء الوافدين على الإقليم الذين آثروا الاستقرار به، ومنهم «الشيخ العالم مولاي سليمان بن علي الإدريسي(ت670هـ)، والمجاهد الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت909هـ) وغيرهم من أصحاب الحمولة العلمية والفكرية الكبيرة، وكلهم وبمجرد وصولهم إلى الإقليم تولوا الريادة في أنشطة علمية وثقافية كثيرة منها ما كان في القضاء والفتوى، ومنها ما كان في التربية والتعليم والتهذيب... ومنهم من عمَّر فبنى الزاويا والمعاهد، ومنهم من جمع بين كل ذلك فكان أثرهم كبير مما أدى إلى نشوء بوادر نهضة علمية رائدة في الإقليم»[40] .

وكان من آثار هذه النهضة الناشئة تزايد البعثات الطلابية الفردية والجماعية من الإقليم إلى مختلف حواضر العالم الإسلامي بغرض الاستزادة في العلم كما هو حال «الشيخ أبي المكارم

عبد الكريم بن أحمد التزدايني الجراري (ت941هـ) الذي تزود بعلوم القرآن عن والده بمنطقة أولاد سعيد بتيميمون ثم انتقل إلى جامع القرويين بفاس ليزيد في رصيده العلمي»[41]، وأيضاً «الشيخ عبد الكريم بن أمُحَّد بن أبي مُحَّد التواتي (ت1042هـ) الذي انتقل إلى عدة حواضر علمية» [42] وغيرهم كثير أمثال: الشيخ عمر الأكبر (ت1152هـ)[43] والشيخ مُحَّد بن أب المزمري (ت1160هـ)[44] والشيخ أمُحَّد بن أحمد (أحميدان) الزجلاوي الأب (كان حيًا سنة 1174هـ).

ويبدو أن الإقليم قد شهد في المرحلة التي تلت القرنين (11هـ /12هـ) -(17م/18م) ركودًا علميًا دفع بطلاب العلم والمعرفة إلى الترحال والسفر خارج الإقليم بحثًا عن أهل العلم والعلماء للتزود والاستزادة، وقد جسَّد هذا المشهد الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني (ت 1189هـ) عند قدوم عمر الأكبر التنلاني من رحلته الطويلة بعد التحصيل حيث يقول: «فقدم علينا ....فوجد بلاد توات وتينجورارين جيدها عاطل من العلوم، وجل طلبتها لا يحسنون مسائل الوضوء، فضلاً عن غيرهما مما تحار منه الفهوم ....»[45].

والأمر نفسه صوَّره لنا العياشي في رحلته حيث قال: «...و لم نلق هناك أحد ينسب إلى ولاية أو صلاح ولا من أهل العلم والفلاح، وغالب أهلها عوام أهل تجارة ...وسد الخطيب خطبة وعظية حسنة تلقفها من صحيفة إلا أنه أكثر فيها اللحن»[46] والظاهر من خلال ما سبق أن كل المنطقة قد شملها الركود على غرار ما كان واقعاً في توات.

غير أننا لا يمكن أن ننكر أو نهمل الأدوار العلمية التي قادها جملة من الأعلام الذين ظهروا في هذه الفترة كأدوار الشيوخ: موسى بن مسعود (ت920هـ)، وعومر بن الصالح الأقروتي (998هـ)، وأحمد بن يوسف التنلاني (ت1064هـ) وغيرهم من الأعلام الذين وفدوا على الإقليم خلال هذه الفترة[47]، ولعل هذا الركود العلمي إنما يرجع إلى الظروف الاقتصادية والسياسية المصاحبة والتي انعكست على المنطقة فأصابها ذلك الحال.

إن أكثر الزوايا شهرة في الإقليم خلال هذه الفترة هي الزاوية الزجلاوية التي تأسست على يد الشيخ مُحَّد بلعالم الزجلاوي في القرن 11هـ /17م، والزاوية الكنتية التي أسسها الشيخ

أحمد بن مُحَمَّد الرقادي (1025هـ/1616م)، والزاوية البكرية بتمنطيط المؤسسة على يد الشيخ سيد البكري بن عبد الكريم بن مُحَمَّد، سنة(1109هـ/1689م) (على رواية الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم في كتابه الرحلة العلية) ومن الزوايا الشهيرة أيضاً الزاوية التنلانية التي أسسها الشيخ سيدي أحمد بن يوسف أواسط القرن 11هـ وكذا زاوية أبي حفص (زاوية المهدية)، وزاوية عين صالح، وزاوية جنتور وبدريان، وزاوية سيدي عمر بن صالح الأقروتي، وزاوية أقبلي بتيديكلت المؤسسة من طرف الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن العقباوي أبي نعامة سنة (1137هـ/1725م) وغيرها من الزوايا التي أثرت الحياة العلمية والاجتماعية بالإقليم.

ب- **الزوايا العلمية الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم الساورة:**

لقد أرخت معظم المصادر التاريخية للمنطقة خاصة ما تعلق منها بكتب الرحلات على أن المستوى الثقافي والديني لسكان منطقة الساورة بما فيها بشار قبل تأسيس الزوايا كان متدنيًا وبحاجة ماسة لنهضة فكرية وبعث ثقافي، وقد ينسحب هذا الحكم حتى على زاوية مدينة بني عباس التي كانت تمثل حاضرة علمية ومركز إشعاع ثقافي في عهد الشيخ الفقيه أحمد بن أبي محلي (967هـ-1560م/1022هـ-1612م) فهي الأخرى كان قد أصابها الوهن.

والواقع أن تدهور الحياة الثقافية والفكرية كانت ظاهرة عامة شملت كل بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن السابع عشر ميلادي بما فيها الحواضر الكبرى كفاس وتلمسان التي لم تسلم هي الأخرى من حالة الركود والوهن منها، وما يمكن ذكره أن عودة الروح العلمية والنهضوية إلى زوايا إقليم الساورة إنما يعود الفضل فيه إلى الشيوخ والعلماء الوافدين حيث ساهموا بشكل مؤثر في إثراء الحياة الثقافية وتنشيط الحركة العلمية لمناطق الجنوب الغربي بما فيه الساورة، وهو ما يدل على حالة الترابط التي كانت قائمة بين أقاليم المنطقة الجنوبية.

وعن أهم زوايا العلم الرائدة في منطقة الساورة خلال هذه الفترة يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر: «الزاوية الزيانية التي أسسها الشيخ سيدي مولاي أحمد بن عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن أبي زيان بمنطقة القنادسة، والزاوية الكرزازية التي تأسست على يد الشيخ سيدي أحمد بن موسى بن خليفة بن موسى بمدينة بني عباس»[48]، والزاوية الشيخية على يد الشيخ

عبد القادر بن مُحَمَّد السماحي البوبكري بمنطقة بني ونيف شمال مدينة بشار، وزاوية سيدي عبد الرحمان بن السهلي بوادي قير (الزاوية الفوقانية ببني قومي)[49]، والزاوية التحتانية ببني قومي التي أسسها سيدي زكري بتبلبالة وعرفت بزاوية المرابطين، وزاوية رب العالمين بقرية بن يخلف ناحية قرزيم بوادي الساورة التي أسسها المرابط سيدي عبد الله بن الشيخ الفارسي القادري الغلبوني الساوري.

ت. **الزوايا العلمية الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم تندوف :**

إن أكثر الزوايا شهرة بإقليم تندوف هي «زاوية سيدي مُحَمَّد المختار بن الأعمش التجاكنتي مؤسس مدينة تندوف سنة 1267هـ/1270هـ»[50] التي يحسب لها ولغيرها من زوايا الإقليم أنها قد حافظت على الموروث الثقافي والعلمي بالمنطقة، ولا يمكن إلا أن نشهد في هذا الباب بالدور العلمي الكبير الذي قامت به زاوية الشيخ سيدي أحمد الركيبي (الرقيبي) التي يعود لها الفضل في نشر العلم والمعرفة وفي الدفاع عن المنطقة ضد المستعمر الفرنسي.

3. الأدوار الدينية والتربوية ذات البعد الإجتماعي للزوايا العلمية بالإقليم

إن الأصل في غايات الزوايا العلمية هو الاهتمام بتزكية النفوس والارتقاء بالروح إلى مدارج السالكين لرب العالمين وتنقية الباطن من كل الأدران والذنوب والمعاصي حتى يصفو الباطن ويستقيم الظاهر، وإذا نظرنا إلى جهود الزوايا العلمية في الجزائر نجدها قد أدَّت دورًا لا يستهان به في ترويض نفوس العباد وتهذيبها وتوجيهها نحو معالي الأمور، والسلوك بها دروب الفضيلة والصلاح والتقوى من خلال تلك الأذكار والأوراد التي يبايع عليها الأفراد شيوخ الطرق الصوفية التي تتبعها الزوايا، ومن خلال تلك الجلسات المنتظمة لتلاوة الأوراد وسماع دروس التزكية والفقه تكمن فعالية تلك الزوايا في قدرتها على التعامل مع النفوس التي تعوَّدت التمرد على كل شيء والتفلت من كل قيد ورادع، فوجد الجميع الملاذ الآمن والبديل الشرعي في حِلق الذكر.

وكان التعليم الديني أكبر مجالات الاستثمار الإيماني بالنسبة للزوايا العلمية عموما وفي الجنوب الغربي للجزائر خصوصاً، حيث أخذت جميع تلك الزوايا على عاتقها منذ فجر

وجودها مهمة تعليم الناس أمور دينهم بل غدت بعضها بمثابة جامعات إسلامية يؤمها طلاب العلم من كل حدب وصوب. ولا تزال تلك الزوايا وإلى يومنا هذا نبراسا يستضاء به لحماية المسلمين من خطر نسيان أمور دينهم والانغماس في حمئة المدنية الحديثة، والملفت للنظر أن التحاق التلاميذ بالزواية كان يُعتبر أمراً إلزاميًا من الناحية الاجتماعية إذ يعتبر أهل الجنوب الغربي للجزائر عدم إرسال الطفل للمدرسة القرآنية منقصة وعدم اكتراث بالدين.

لقد تعددت الأدوار التربوية للزوايا في توات والساورة وتندوف وأهمها:

أ. **التعليم:** ويكون «بتلقين العلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم وبشكل مجاني مع ضمان السكن والإطعام بفضل الأوقاف، على أن يبدأ الطالب بحفظ القرآن الكريم أولاً ومنه ينتقل إلى مدارسة مختلف المتون الفقهية ومدونات الحديث النبوي الشريف وكتب السيرة والنحو والتفسير»[51] و«تتواصل الدراسة من الفجر إلى صلاة العشاء طوال الأسبوع ما عدا صباح يومي الخميس والجمعة»[52] والشيخ هو محور العملية التعليمية وهو الذي يجيز المتعلم في الأخير حتى يتسنى له أن يعمل كمدرس ثم يترقى حتى يبلغ به المقام إلى درجة العلماء.

ب. **تربية الأفراد وتزكية النفوس:** حيث «عملت الزوايا العلمية على نهج أسلوب التربية لأفرادها بقصد الإرتقاء التربوي والديني بهم خدمة للجماعة ككل»[53]، اتباعاً لمنهج السيرة النبوية في عاداتهم وتقاليدهم حتى تجتمع قلوبهم وكلمتهم تحت راية الإسلام.

ت. **تنمية روح الجهاد الإسلامي:** ومن أمثلة ذلك زاوية الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التي جمعت بين المهمة التعليمية والمهمة الجهادية، وأيضاً زاوية الشيخ بلكبير، والزاوية الأعمشية هذه الأخيرة التي كانت حريصة في مواجهتها للتوسع الاستعماري بالمنطقة على تلقين المبادئ القرآنية في تهذيب النفوس والحفاظ على روح العقيدة التوحيدية الصحيحة في إطار البعد الحضاري والتاريخي للأمة .

ث. **دعم الإنتاج المعرفي وحركة التأليف والكتابة:** حيث تعتبر فترة الدراسة من أخصب عهود الإنتاج المعرفي في مناطق توات والساورة وتندوف، وتشهد على ذلك آلاف المخطوطات الموزعة ضمن خزائن زوايا وقصور توات وإقليمي الساورة وتندوف، وكان من أبرز

رواد هذه المرحلة: الشيخ عبد الله الجوزي (ت1035هـ/ 1625م) والشيخ أبو مُحَّد دفين تبلكوزة، والفقيه الحاج علي بن عبد الرحمان التازي صاحب مؤلف (منهل الظمآن ومزيل الهموم والكرب والأحزان في كرامة العارف بالله سيدنا الحاج مُحَّد بن أبي زيا)، والعلامة مُحَّد المختار بن بلعمش وإبنه أحمد يكن، وغيرهم من علماء أحفاد بن بلعمش، ناهيك عن أعلام التدوين والكتابة في منطقة توات. من أمثال: «أعلام العائلة البكرية بتمنطيط، وعلماء عائلة الجوزي في أولاد سعيد بتيميمون»[54] وفطاحل عائلة البلبالي بتيمي، ويمكن أن نذكر من أعلام الساورة المشتهرين بالتأليف «شيخ الزاوية الكرزازية سيدي أحمد بن موسى الذي ذاع صيته بالإفتاء والقضاء»[55]، والشيخ العلامة أحمد يكن بن مُحَّد المختار الجكني التيندوفي الذي قال فيه مختار السوسي: «إنه كان ذكرًا، كثير الأوراد، متحريًا بالحلال في قوته ومعيشته وقد جمع الله له المحبة في القلوب، وزرع له الاحترام والهيبة بين الخلق»[56] وله نوازل بذلك.

ونخلص في النهاية إلا أن التعليم الديني للزاوية يُعد من أهم العوامل التي أسهمت في تكوين الشخصية الإسلامية لساكنة المنطقة فأضحت محافظة على هويتها العربية الإسلامية، وقد كان –كما ذكرنا سالفا– لأهل الجنوب الغربي كغيرهم من أهل الحواضر الإسلامية النصيب الأوفر في الأخذ بهذا الجانب حيث انتشرت الزوايا والكتاتيب القرآنية وباقي المؤسسات الاجتماعية ذات الطابع العلمي والفقهي، وكان لها الأثر العميق في ثقافة أهل هذه المنطقة، كما كان لها دور بارز في علاقات المنطقة بغيرها، وذلك عن طريق توافد طلبة العلم إليها من مختلف الحواضر.[57] وقد أشاد ابن خلدون «بنجاعة هذه المناهج وثرائها عند تعرضه لمناهج التلقي في المشرق والمغرب»[58]. كما ساعد تبادل الآراء في القضايا والنوازل الفقهية بين أهل المنطقة وأهل الأندلس والمغرب الإسلامي وأهل السودان الغربي على خلق وحدة مذهبية في المجال الفقهي.

4. من مظاهر النشاط الاجتماعي للزوايا العلمية

«صاغت المجتمعات البشرية الكبرى لنفسها قواعدًا ونظمًا تساعدها على البقاء والاستقرار، وتضمن لها تحقيق وضع أفضل لها وللأفراد المنتسبين إليها، وتختلف طبيعة هذه

النظم من مجتمع إلى آخر، بسبب اختلاف الإيديولوجيات التي انبثقت منها وقامت على أساسها، كما تختلف كذلك بسبب الظروف التي مرت بها المجتمعات المتعددة، وكان لها تأثيرها السلبي أو الايجابي في التغيير الذي نالها»[59].

وقد أولى المجتمع الإسلامي عناية كبيرة للشؤون الاجتماعية، لتكوين مجتمع صالح يُشارف السلف في عقائده وعبادته وأخلاقه وصلته بمحمد(ﷺ) وقربه من الله، ولم يكن مجتمع الجنوب الغربي للجزائر بمنأى عن ذلك، ولعله تحت تأثير الاضطرابات والحروب القبلية التي طالما عانى منها هرب سكانه إلى التصوف وأهله، وإلى التصديق بالكرامات والمعجزات وتقديس الأولياء، خاصة من يدعي منهم النسب الشريف، نظرًا لانقياد الناس لهم وسعيهم لطلب قربهم ورضاهم.

ولما كان الإصلاح دين واجتماع، بل إن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي حتى أن المسلم الحقيقي لا يكتمل إسلامه إلا إذا استقام جانبه الاجتماعي، وأدرك وظيفته في الحياة، وبنى علاقاته العامة على أساس سليم قوامه الأخذ والعطاء. فقد برزت أهمية الأدوار التي تقوم بها الزوايا العلمية التابعة للطرق الصوفية خصوصاً والمهيمنة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأقاليم الثلاث خلال هذه الفترة، فما مدى تأثيرها على الفرد والمجتمع، عقديًا وسلوكيًا؟ وهي التي رسخت عقيدة الولي في الأقاليم، حتى ارتبطت قصوره بأولياء الله الصالحين، وجنَّدت سكانها تجنيدًا جماعيًا لخدمة الولي وزواره في موسمه السنوي. وما هي القيم الاجتماعية التي رسختها هذه الزوايا العلمية في الأقاليم الثلاث؟ وما دور تلك القيم في بناء مجتمع متجانس ومستقر ومتضامن؟ رغم تباين تركيبته الاثنية والطبقية، وما الدلالات التي تحملها المواسم أو الزيارات التي يَعنى أهل المنطقة بإحيائها؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى ما هي الرؤية الاقتصادية التي تبنتها الزوايا العلمية؟ وكيف جسَّدت هذا المجال الحيوي لخدمة فكرها ومنهجها؟

لقد عرفت منطقة الغرب الإسلامي حركة علمية وثقافية منذ عرف أهلها الدين الإسلامي واللغة العربية الشيء الذي جعل المنطقة لا تشذ عن مناطق العالم الإسلامي الأخرى في دفع عجلة الحضارة العربية والإسلامية، ومن مظاهر هذه الحركة العلمية هو ذلك الاحتفاء الكبير لسكان حواضر الغرب الإسلامي بالعلم والثقافة...، حيث امتدَّ هذا الاحتفاء إلى المناطق الصحراوية من الجنوب الغربي للجزائر،...وغيرهما، فكان لهذه المناطق الصحراوية أدوارها وإسهاماتها الرائدة في تلك الحضارة.

كانت المنطقة ككل –كما مرَّ معنا– خلال هذه الفترة مركزًا علميًا وحضاريًا ذا أبعاد ثقافية تُعبر عن الهوية العربية والإسلامية للمنطقة، كما تعبر عن إسهامها في بناء العلاقات المغاربية والإفريقية بما عرفته من نظم اقتصادية واجتماعية وعلاقات ثقافية، والمتأمل لهذه العلاقات وانعكاساتها العلمية والثقافية يخلص إلى بعض العوامل التي أهلت المنطقة حتى تتبوأ الدور الريادي والحضاري، ومن هذه العوامل موقعها الاستراتيجي الذي كان يربط بين مختلف مدن الشمال الإفريقي وبلاد السودان الغربي فخلق منها محطة تجارية وحضارية هامة، كما أن هذا الموقع أهلها لتقدم «الدور البارز في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي خاصة باعتبارها حلقة وصل بين المنطقتين خاصة وأنها امتلكت ميزات خاصة بها، لا من حيث التركيبة السكانية أو العمرانية فحسب بل حتى الطابع الجغرافي الصحراوي الخاص بها»[60].

يضاف إلى ذلك دور المؤسسات الثقافية والعلمية بها (الزوايا العلمية التي كانت منارات للعلم وقبلة لكل ذي حاجة، فأضاءت عقول أبناء المنطقة وأفادت طلبة العلم والدين، فإضافة إلى نوازلها الشهيرة، فهي تعد القلب النابض للاجتهاد المسطور في بطون أمهات الكتب، ذلك الاجتهاد المتأثر بمحيطه وبيئته العلمية المزدهرة، كما هو حاصل في الزوايا الكنتية وزوايا أقبلي في تيديكلت وقورارة وتمنطيط التي نجد بها معظم هذه الكتاتيب والرُبط عبر العصور من خلال انعكاس النشاط العلمي بالمنطقة عن طريق المؤسسات الروحية التي كان لها أثرها المباشر على الإرث المكتوب المتمثل في خزائن المخطوطات التي تركها مؤلفوها.

ومن مظاهر النشاط الاجتماعي للزوايا العلمية تخريج العلماء والفقهاء والدعاة الذين تصدوا في وجه الحركة الاستعمارية الحديثة من أجل تحرير البلاد والعباد والدفاع عن العقيدة الإسلامية وصيانة القيم الإنسانية وترسيخ مكارم الأخلاق، فكل زوايا الإقليم بالجنوب الغربي اهتمت بمختلف النشاطات الإجتماعية لتحقيق هذه الغايات السامية كإحياء المناسبات الدينية منها ليالي رمضان بإقامة الدروس الرمضانية ومنها ليلة القدر، وإحياء المولد النبوي الشريف بترديد المدائح والقصائد الدينية كالبردة والهمزية، هذا غير إحياء ذكرى وفاة الأولياء الصالحين من شيوخ هذه الزوايا.

كما ساهمت هذه الزوايا إجتماعياً بحل النزاعات وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد كانت ملجأ للضيوف وعابري السبيل وخادمة لقوافل الحجيج، وهذا ما ذكره الشيخ أحمد الطاهري الإدريسي في كتابه (نسيم النفخات) إذ قال: «...والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، فإذا كان في القصر زاوية، [يقصد دار الزاوية) فيجد فيها كل ما يحتاج إليه حتى علف الدواب» [61]، فنلاحظ هنا كم وفَّرت الزوايا العناء على عابري السبيل.

إن ما يجمع الزوايا العلمية على اختلافها هي تلك الخصائص والأهداف النبيلة التي تكسبها بعدًا اجتماعيًا وتضامنيًا وإنسانيًا، فهي قد جمعت فئات الناس المختلفة ووحّدت بينها عبر مراحل تاريخية طويلة، وبثت فيها قيم التضامن والتسامح والوحدة وحب الخير والذود عن الدين والعرض، بالمقابل اتسمت هذه الزوايا في غالب مراحل تطورها وانتشارها بالمرونة في مبادئها وتعاليمها حتى يتسنى لها التلاؤم مع أفكار الناس في كل مكان وزمان واستقطابهم كأتباع لها، كما اتسمت بجمعها بين علمي الظاهر والباطن والحقيقة والشريعة، الأمر الذي مكنّها من الموازنة بين الحياة المادية والحياة الروحية للمجتمع الصحراوي.

إن تأثير الزوايا العلمية لم يقتصر على الجانب العلمي والديني رغم أن مهمتها في الأصل هي زرع الأبعاد الروحية والإيمانية، بل تعداها إلى خدمة جملة من الجوانب الحياتية الأخرى، لأن

شيوخها لم يكونوا بمعزل عن مجتمعاتهم ولا عن مشاكلهم، فكان من أهم هذه الجوانب، الأدوار الاجتماعية والتي منها:

- إزالة الفوارق الاجتماعية «بانصهار مختلف الطبقات، فالكل إخوان، لا فرق بين الفقير والغني، العالم والأمي، الشريف وغير الشريف»[62]

- حل النزاعات ونبذ الخلافات والبت في القضايا الشائكة بين الناس.خاصة وأن المجتمعات الصحراوية لم تكن تحت نفوذ سلطة مركزية، وكانت هذه المجتمعات الصحراوية عبارة عن قبائل وعروش، وفي حالة نشوب الخلافات كان لابد من وجود من يحول دون تطورها ووصولها لحد القتل، ولأن الشيوخ والمقدمون كانوا محل احترام من طرف المجتمع لذا كانت كلمتهم مسموعة. وفي هذا الإطار يبرز بشكل جلي الدور الاجتماعي للزوايا العلمية.

- الجمع بين المتعادين الذين حدثت بينهم القطيعة ومن أمثلة ذلك، حدوث قطيعة بين سكاني قصري ملوكة وواينة بإقليم توات. حيث يروى أنه كان بين القصرين قصر صغير اسمه ميمون. يشرف عليه أحد مقدمي الزوايا العلمية (مُحَمَّد الصالح بن عبد الرحمان الميموني)، الذي رأى أن يجمع بين الطرفين وكان لابد من وجود وسيلة ترضي الجميع. وبما أن المشهور عن سكان واينة ولوعهم بضرب الطبل قابله تعلق شيخ ملوكة المسؤول عن تسيير شؤون القصر بحب الطبل. فقام الشيخ الميموني باستدعاء الطرفين لبلاده حيث استغل هذا التعلق من كلا الطرفين، بمعنى أن شيوخ الزوايا وروادها كانوا مرتبطين اجتماعياً ببيئتهم رغم أنه كان بإمكانهم الاستعلاء على العامة والدهماء بالنظر إلى القيمة الروحية التي رفعهم إليها الناس، وببديهته استطاع أن يجمع ويؤلف بين أهل واينة وأهل ملوكة ويؤلف بين قلوبهمَ، كما أن موسم الزيارة الذي يقام كل سنة هو أهم فرصة لاجتماع الناس من كل الجهات التي تنتشر بها الطريقة، فيتعارفون ويتآلفون وبالتالي تصل الناس أرحامها، وتتحقق أمنية الوحدة والاجتماع[63].

- تكريس روح الصبر والتحمل في نفوس الناس، ذلك أن «جلوس المريدين على ركبتيهم طيلة أيام الزيارة (ثلاثة أشهر) من وقت صلاة الفجر إلى طلوع الشمس بشكل متواصل يكاد

يكون يومياً يحمل أهداف نفسية وسيكولوجية ورياضية حتى كان يرتجى تحقيقها، كزرع الصبر وقوة التحمل في قلوب المريدين».[64]

- دفع المجتمع للاسترزاق من الحلال والابتعاد عن الحرام فيقول في (الرموز):

يمشي مشي الماء على الأرض المسقي ❁❁❁ ونترجى من صاحب الحكم التوفيق
ما نرفع لقمة ولا نشرب جغمـــــة ❁❁❁ حتى نوزنها بميزان التحقيـــــــــق[65]

- تشجيع وتنظيم التعاون بين أفراد المجتمع في بشكل دوري فيما يعرف في المنطقة بنظام التويزة، حيث «يتعاون الناس فيها بشكل طوعي على الأعمال الكبيرة مثل: الاهتمام بالفقارة، ومحاربة العقارب وتنظيف المساجد والأماكن العامة، واستقبال الضيوف والزوار عند الزيارات الموسمية، والتناوب في خدمة الفقراء وعابري السبيل، وتوفير الأمن وحراسة الأملاك العامة والخاصة وحماية القوافل»[66].

ورغم أن التركيبة الإجتماعية لأهل الجنوب الغربي طبقية في تركيبها إلا أن روح المؤاخاة والتعاطف التي تسود أفراد الجماعة تعتبر السمة الغالبة ضمن علاقاتها الاجتماعية، علاوة على إكرامهم للغريب والمسالمة مع جيرانهم، وهذا يرجع إلى أن المجتمع مجتمع مُتدين، غرس الإسلام في نفوس أهله المحبة والتعاطف التي لمسها كل من زار الأقاليم الثلاث أو احتكَّ بسكانها.

فمجتمع الصحراء الجزائرية يعتبر من أفضل المجتمعات من حيث متانة العلاقات العامة، حتى أن الزائر لهم لا يلقى أدنى شيء من الضيق أو الحرج، لأنهم كانوا أناساً بحكم سليقة طبعهم كرماء أوفياء، وبسبب قناعتهم الفكرية استطاعوا العيش بأمان وسلام وذلك مع اختلاف أجناسهم، وافتراق طباعهم وكانت لهم عادات وتقاليد جمَّة لا يخرج أغلبها عن أوامر الشريعة الإسلامية، فنجدهم أناس يُكرمون الضيف، ويبحثون عن سعادته، ويحرصون على أن يكون بينهم جزء لا يتجزأ منهم .

فمن المهام التي كانت موكلة للزوايا وشيوخها ومقدميها التعرف على الغرباء والأجانب بالبلدة ومصاحبتهم إلى ديار الضيافة، ثم إخطار الأسرة التي عليها الدور قصد تقديم الطعام للضيف لمدة ثلاثة أيام، حتى كان المسافر الذي نفذت مؤونته في الطريق يستطيع أن يدخل أول قصر يصادفه، وبمجرد أن يلتقي بأول فرد من سكانه يُخبره بأنه ضيف الله (ضياف ربي) فيقوده مباشرة إلى دار الضيافة التابعة للزاوية، ويعتبر ضيفاً على البلدة كلها، فالضيف وعابر السبيل والمسافر عند أهل الزاوية ومحيطها كان مُرحباً بهم في كل مكان، فإنك لتجد الرجل يحرم نفسه وعياله ليُكرم ضيفه وهي حقيقة أقرها كل من عرف المنطقة، فالعياشي وصفهم بأنهم أهل تقوى وصلاح، والرحالة الألماني جير هارد رولف(Rolf Jirhord) قال عنهم بأنهم مسالمون ويحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين، ونفس الشيء قد أشار إليه ديبورتر (Deporter) في تقريره الذي يُبين فيه هذا الجانب من طباعهم وأخلاقهم، وأشار بصفة خاصة إلى مسالمتهم مع جيرانهم وبأنهم قوم طيبوا القلب كرماء مع الغرباء والأجانب.

كما اهتم أهل الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية بتأثير من الزوايا العلمية بزيارة الأقارب، ومراعاة حقوقهم، والنظر لأحوالهم والاجتهاد في طلباتهم وكانت اللقاءات بينهم متواصلة بهدف تزكية الروابط، وتنقية أجواء علاقاتهم، وزرع الخير والمحبة فيما بينهم، فجعلوا من يوم الجمعة موعداً للتباحث والتلاقي، فقد كانوا يحضرون مأدبة الغذاء عند أحدهم ثم بعد ذلك تُناقش المسائل العالقة، وينظر في الأمور اللاحقة، كما كانوا يجتمعون بعد صلاة العصر بالمساجد أو في الساحات العامة يتشاورون في مشاكلهم ومشاكل بلدتهم، ويستمر ذلك حتى تحين صلاة المغرب[67].

كما امتازت الزوايا العلمية في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية خصوصاً منها الموساوية باهتمامها المقصود بالجانب الاقتصادي إضافة إلى الجوانب الأخرى، وبما أن الاقتصاد هو المحرك الأساسي لتنمية المجتمعات والرقي بها، لذا فقد اهتمت بالزراعة منذ تأسيس الزاوية بتوات مثلاً، «فالشيخ بوفلجة كان قد اشترى أراضي زراعية فاستصلحها وأوقفها على الزاوية كي تساهم في

تغطية نفقاتها، كذلك اهتمت بحفر الآبار ورعاية الفقارات وتنظيم طرق الري. وإنشاء الكثير من بيوت الضيافة في مختلف المناطق من خلال الزوايا وهي ذات طابع اقتصادي اجتماعي وثقافي»[68]، فالزوايا من خلال فتح أبواب مطابخها وغرف الاستقبال لديها كانت تنشد هدفاً أخلاقياً واجتماعياً أيضاً وهو التكفل بالمحتاجين وعابري السبيل كما أنها كانت تساهم في القضاء ولو نسبيًا على البطالة الاجتماعية من خلال تشغيل بعض الأشخاص في مهمة الإشراف على خدمة البساتين والاعتناء بالزوار بمقابل مادي رمزي، على شرط أن يبقى هؤلاء العمال بصفة دائمة في الزاوية، وبالتالي يجدون المأوي والأكل.

كما كانت الزوايا التابعة للطرق الصوفية بالمنطقة بالإضافة إلى دورها التعليمي والتربوي «تتكفل بالجانب المادي للطلبة المنتسبين إليها وهذا بتوفير المأوى والمطعم دون مقابل قصد إعانتهم على التعلم والتفقه، وهو ما سيؤثر بالتأكيد في تحسن مسارهم التعليمي، ويفتح الباب واسعاً لمختلف طبقات المجتمع خصوصاً الفقيرة منها للالتحاق بالزاوية والتعلم دون قيد مادي أو شرط اجتماعي»[69].

وفي إطار خدمتها للمجتمع اقتصاديًا عملت زوايا الجنوب الغربي مثلاً على «تأمين الطرق التجارية من اللصوص وقطاع الطرق، وحرية تنقل الأشخاص وهم آمنين على حياتهم وتجارتهم، وذلك لوقوعها في منطقة تربط بين وادي الساورة ببشار ووادي المسعود الممتد إلى غاية رقان»[70] وفي مجال إحياء الثقافة وتراث المنطقة دعت الزوايا العلمية الناس إلى المحافظة على الفقاقير بتنظيم التويزة والعناية بها باستمرار، أو حفر فقاقير جديدة مثل: فقارة عين بودة التي حفرها أحفاد الشيخ سيدي أحمد بن موسى وأضحت فيما بعد أهم مورد اقتصادي وزراعي في المنطقة، ولأدوارها الاجتماعية المميزة كتب عنها الأنثربولوجيون والمؤرخون الأوروبيون بإسهاب فأشادوا بأدوارها الإنسانية بكامل الإقليم، قال عنها فوتي الفرنسي: «إن العمالقة الذين شيدوا الزوايا الكرزازية والقندسية والكنتية بهذا التشييد أحدثوا ثورة حقيقية روحية ولغوية

متبوعة بتغيرات جذرية اقتصادية منها، واجتماعية ثم تطورت إلى الزراعة والأمن والثقافة العامة»[71]

فالنشاط الاستعماري وما أقامه من مؤسسات استعمارية (مدارس فرنسية للأهالي، دُور للإرساليات التبشيرية وجامعات ومعاهد غربية المنهج..) مغلفة بغلاف مدني أو إنساني، قد بدأت تُحدث في الجزائر حالة من الرواج الخطير للأفكار والفلسفات التغريبية وهذا ما اقتضى من الزوايا العلمية الفاعلة ضرورة دعم مناعة الأمة ودفاعيتها و«بذل الجهود الكبرى في صرف هذا الخطر أوالتقليل من أضراره وكشف زيفه، ومن أهم علل اليقظة عند الجزائريين في مرحلة المداهمة الاستعمارية، هو عامل الانخراط الروحي المتزايد الذي عرفته الأمة منذ القرن 18م بظهور القادرية والرحمانية والخلوتية والشيخية والسنوسية والذي أضحى مع دخول الاستعمار عامل تجنيد يحرّض الجماهير على التغيير والتجدد»[72].

ومع الوطأة الفرنسية على الجزائر أضحت أغلب هذه الزوايا عامل تجنيد يُحرّض الجماهير على وجوب تغيير الواقع ومادة تُنفّر من شروط ذلك الواقع وتزرع في القلوب إرادة التجدد والتجاوز- رغم العيوب التي انتابت طرقها وأساليبها في التغيير والإصلاح- وهو ما كان له أثره على الإنسان ومداركه وعلاقته مع الأشياء والقيم، فشبكة الطرق الصوفية وفروعها كانت تهيّكل وبالكاد كل المجتمع الجزائري خلال القرون 17م 18م 19م خصوصًا بعد أن شهدت هذه التنظيمات انقسامات وتفريعات تحت ضغط الظروف الموضوعية ونتيجة اجتهاد الأتباع فالزوايا التابعة للطرق القادرية والرحمانية والسنوسية مثلاً كانوا فاصلاً تاريخياً هاماً ربط حلقات المجتمع الإسلامي الجزائري السابقة الأصيلة باللاحقة الداعية إلى الأصالة أو برجال مصلحين سابقين بآخرين تلوها في مراحل تاريخية متعاقبة.. حيث أدى الانخراط الروحي المتزايد خلال هذه الفترة في شتى الحركات الثورية والدينية، بكثير من فئات المجتمع إلى الارتباط من جديد رغم بساطة الفكرة وراديكالية التغيير بوجدان الأمة وبماضيها الجمعي.

لقد كانت السرية التامة هي الميزة التي تحيط بالزوايا، وما يجري داخلها، من نشاط شيوخها والتي لم يستطع الاستعمار بما لديه من إمكانيات ووسائل الإطلاع عليها، يقول ماك ماهون (Mack Mahone) سنة 1851: « يجب على الإنسان أن يقضي حياته كلها في الزاوية حتى يعرف ما يجري فيها وما يقال فيها»، ويقول المؤرخ الفرنسي مارسيل إيميري(Marcel Émeri): «إن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد أُعدت ونُظّمت ونُفّذت بوحي من زوايا الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية، ومن بين الجمعيات المشهورة التي أدّت دورًا أساسيًا في هذه الثورات: الرحمانية والسنوسية والدرقاوية والطيبية»[73]، ويؤكد السيد أوكتاف ديبون (Octave Dipon) المفتش العام للبلديات الممتزجة بالجزائر . ومن مؤلفي كتاب (الطرق الدينية في الجزائر 1897) في تقرير بعث به إلى لجنة مجلس الشيوخ المكلفة بالجيش والتي كان يرأسها "كليمانصو"(Clémenceau): «إننا سلفًا نجد يدًا مرابطية وراء كل هذه الثورات التي يقوم بها الأهالي ضدنا»[74]، ولا ننسى هنا ثورة البطل الشيخ بوعمامة، التي انتشرت «عبر مناطق عين الصفراء وتيارت وفرندة وسعيدة وعين صالح وتوات، وكرزاز، وكانت ثورته امتداد لثورة سبقتها بقيادة أولاد سيدي الشيخ جنوب وهران، استمرت من سنة 1864 إلى 1880، وامتدت إلى جبل عمور التيطري متليلي ورقلة وأدرار وسعيدة وغليزان وسور الغزلان»[75].... والشيخ بوعمامة كان «من الرافضين لمعاهدة بريزينة التي أبرمها سي الدين بن حمزة الأخ الأصغر لثوار أولاد سيدي الشيخ مع الفرنسيين سنة 1880م، حيث نادى للجهاد في سبيل الله مواصلاً للنهج الثوري لأولاد سيدي الشيخ فانضوى تحت لوائه الكثير من القبائل والأنصار»[76]. وواصل الشيخ بوعمامة الجهاد في كامل أرجاء الجنوب الغربي وخاصة بتوات وقورارة وتديكلت، والشاهد على ذلك «المقام الذي كان يؤوي الشيخ في ناحية قورارة وبالتدقيق بدلدول إلى أن وافته المنية بالمكان المسمى عيون سيدي ملوك بعمالة وجدة بالمغرب الأقصى سنة 1908م»[77]، إن «الشيخ كرس حياته كلها من أجل الوطن الكبير «الجزائر» فكان كل عمره بطولات وانتصارات لإعلان الحق والدين ولتحرير الوطن من المستعمر الفرنسي

حتى فارق الحياة رحمه الله»[78]، كما عاضدتها ثورة بن ناصر بن شهرة من الطريقة القادرية، الذي قال عنه الضابط الفرنسي "لويس رين"(Louis Rain):«كان ابن ناصر بن شهرة الملّاح الحقيقي للصحراء»[79]، كما وجد المساعدة في الزاوية الرحمانية بنفطة لشيخها مصطفى بن عزوز التي كانت قبلة الثوار والمجاهدين، واستمر بن شهرة في كفاحه ضد الاستعمار إلى سنة 1875م حين أرغمه باي تونس على مغادرة بلاده، فيختار التوجه بحرا إلى بيروت ثم دمشق التي توفي بها سنة 1882م.

ويسجل التاريخ لكثير من الزوايا العلمية في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية مواقف لا تنقصها الشجاعة إزاء مواجهة العدو ورد الظلم والدفاع عن مصالح الطبقات الفقيرة المستضعفة، وذلك في عزة مدهشة قلّ أن توجد في هذا العصر، ولا يخفى علينا دور زوايا الطريقة الشيخية التي أدّت دورًا هامًا في مجتمع الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، وهي تمثل أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسية هامة في تاريخ الجزائر المعاصرة، فمن أي زاوية تناولناها وجدنا الكثير من الفوائد والفرائد التي تساعدنا على فهم الكثير من الحقائق في الناحية الدينية والناحية السياسية والناحية الاجتماعية[80].

ويسجل التاريخ الأدوار الثورية الكبيرة للشيخ مُحَّد بن الكبير أحد شيوخ الطريقة الموساوية بتوات حديثاً، الذي «جعل من زاويته بأدرار مقرًا لاستقبال الثوار والمجاهدين الذين يَقدِمون إلى البلدة من الولايتين التاريخيتين الخامسة والسادسة، كما أنه كان يمدهم بما يحتاجون، شأنه في ذلك شأن الزاوية الأم للطريقة الكرزازية، كما كان يُغذي المجاهدين بروح الثقة بالانتصار على العدو ويحثهم على الصبر والتحمل»[81] وبالنظر إلى هذه الأدوار المؤثرة في المجتمع وحياة الناس أقبل التواتيون بشكل ملفت على الانتماء الطوعي والمكثف في الزوايا العلمية، والتعلق بشيوخها، فاحتضنها المثقف والتاجر والحاكم، وبذلك نهضت الزوايا العلمية بدور اجتماعي وسياسي رائد، كما أكدت حضورها القوي في مواجهة الاحتلال الأجنبي وخاصة الاحتلال الفرنسي.

وقد عزا كثير من الباحثين المقاومة الشديدة التي واجهت الجيش الفرنسي في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية إلى انتماء الناس إلى هذه الزوايا العلمية التي كانت تُحمسهم للجهاد وتدعوهم للمقاومة، وفي هذا الشأن يقول الباحث الفرنسي أشيل روبير(Achille Robert) : «إن كل سكان الجزائر كانوا ينتمون إلى الزوايا العلمية، وهم بذلك يُشكلون جيشًا صلبًا متدربًا بمهارة، مستعدًا دائمًا للدفاع عن البلاد ضد الأوربيين، وقد اهتم الكتاب الفرنسيون بالبحث في شؤون الزوايا العلمية والطرق الصوفية التي تتبعها قصد التعرف على المجتمع الجزائري وإخضاعه للسياسة الفرنسية، وأهم هؤلاء الكتاب السيد لويس رين (Louis Riin) الذي ألّف عدة كتب في الشؤون الجزائرية والذي كان مستشارا للحكومة العامة ،فقد ألّف كتابًا مهمًا حول الموضوع عنوانه (مرابطون وإخوان) نشره عام 1884م، وذكر فيه «أن عدد الزوايا المتواجدة في الجزائر تقدر بـ355 زاوية، وإن هناك 1955 مقدمًا و167019 من الإخوان أو المريدين المعروفين لدى الإدارة الفرنسية، وهم منظمون ومنضبطون تحت لواء هذه الطرق الصوفية والزوايا العلمية، وقد حقق تماسك هذه الفرق فيما بينها إلى خلق جبهة اجتماعية موحدة، كما كان لكل طريقة وزنها وخطرها، خاصة إذا كان شيخها مشهورًا وسمعتها قوية ولها الكثير من الأتباع والأموال، فقد كانت تخيف الحكام سواء العثمانيين أو الفرنسيين، وهذه الزوايا العلمية هي التي واجهت الاحتلال الفرنسي، وتولت راية الجهاد بعد استسلام السلطة المركزية وهزيمة جيشها الرسمي، فكان الحاج سيدي السعدي في المتيجة والحاج محي الدين وابنه الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري ... وأسماء أخرى من شيوخ الصوفية قادوا العديد من الثورات الشعبية»[82].

كما شكّلت بعض الزوايا العلمية بالجنوب الغربي الجزائري جبهة مقاومة للحركة التنصيرية التي قادها كبار المنصِّرين بدعم من قادة الاحتلال العسكري، وذلك «لإدراكها خطورة الوضع وحقيقة النوايا الاستعمارية التي تحمل في مشروعها تنصير المجتمع الجزائري عمومًا، ولا ريب أن الباعث الحقيقي الأول في رأى القائمين على التنصير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية»[83]، و«أحسن طريق سهّل على هؤلاء تنفيذ مشروعهم هو طريق

الاستعمار، فالعلاقة بينهما علاقة وطيدة وكل منهما يعتمد على الآخر ويكمله، كما أن آباء التنصير كلهم ركزوا على الفرنسة بغرض التنصير والتمكين للاستعمار، كما ركَّز رجال فرنسا من الساسة والعسكريين على التنصير بغية الفرنسة والإدماج والتمكين للاستعمار»[84]. ورغم أن حركة المبشرين بتوات وتندوف والساورة لم تعرف نشاطًا كبيرًا على غرار ما شهدته بعض المناطق الجنوبية كتمنراست، إلا أنها «سجلت وجوداً للكنائس، ونشاطاً حثيثاً لأتباع التنصير الذين وظفوا صناعة التعليم والتطبيب والوعظ، ونقل الكتب من لغة إلى لغة والإغراءات المادية، والدعوة المعسولة وإنشاء المدارس والكليات التنصيرية... لتحقيق غاياتهم التنصيرية»[85]، وبالمقابل فإنَّ مقاومة الزوايا والطرق للمشروع النصراني اتخذ هو الآخر أشكالاً مختلفة أهمها: التعليم من خلال تحفيظ القرآن الكريم ومدارسة العلوم الشرعية واللغوية، وبات المشهد الثقافي خلال الفترة المدروسة مليء بدور العلم والتعليم وتأسيس الزوايا والكتاتيب القرآنية، كما شهدت حركة تواصل بين العلماء والأدباء من خلال الإجازات والمناظرات والفتاوى والمراسلات وكثرة المؤلفات، والدليل على ذلك ما تحويه الخزائن التواتية من موروث علمي كبير لا يزال حبيس المكتبات والخزائن سواء في المنازل أو في الزوايا.

وإذا كان المنصرون قد تعثروا في تنفيذ مشروعهم النصراني في المناطق الشمالية والداخلية، بسبب مقاومة العلماء الإصلاحيين لهم، فإنَّ المناطق الجنوبية قد تحملت فيه الزوايا العلمية والطرق الصوفية مهمة مقاومة المد التنصيري بتنشيط الحركة العلمية وتأسيس الزوايا في ربوع الصحراء، لنشر العلم الشرعي وبث الوعي الوطني بين أبناء المجتمع الصحراوي الذي له من الخصوصية ما يجعله يتشبث بالزوايا العلمية والطرق الصوفية.

كما أن النظرة التقديسية التي كانت لشيوخ الزوايا العلمية والطرق الصوفية في مجتمع الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية ساعدت في توجيه المجتمع دينيًا واجتماعيًا، بل والمحافظة على مقوماته الحضارية، ونظرًا للدور الذي قامت به الزوايا العلمية في المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية إبان الاحتلال، فإنه يمكننا تفسير مدى سعي سلطات الاحتلال إلى احتوائها كما

فعلت مع البعض، لأنها أدركت سر العلاقة القائمة بين المجتمع وهذه المؤسسات العلمية والروحية المبنية على الولاء المطلق والطاعة العمياء لشيوخها.

إننا على يقين – مع قلة الدراسات في هذا الموضوع –.أن الزوايا العلمية قد أفشلت المخطط الاستعماري النصراني، وفضحت نوايا الجمعيات التنصيرية ورواد التبشير في المنطقة، وفي اعتقادنا يرجع ذلك إلى أمور:

- الرفض الذي لقيه الاستعمار من أهل الصحراء وعدم الخضوع لسياسته.
- كثرة الزوايا التي ساهمت في تبصير المجتمع بخطر الأجنبي النصراني.
- انتشار العلم والثقافة الإسلامية في الأوساط الشعبية حال دون إيجاد فراغ داخل المجتمع .
- النشاط العلمي الذي قام به شيوخ العلم من تعليم ومدارسة للقرآن الكريم والسنة النبوية وغيرها من الكتب الشرعية واللغوية.
- تمسك مجتمع الصحراء بالزوايا العلمية والطرق الصوفية حال دون تغلغل الحركة التنصيرية في الأوساط الشعبية.

إن الاحتلال الفرنسي تفطن لأهمية دور هذه الزوايا العلمية في وقت متأخر، وذلك بعد أن ألّف الضابط "دي نوفو"(De Nouveau) كتابه (الطرق الصوفية عند مسلمي الجزائر) فوضعت الإدارة الفرنسية مخططًا لتشتيتها وضرب صفوفها من الداخل، واستعمال العصا والجزرة معًا، وسياسة الإغراء والقوة وفي هذا الإطار «اجتهدت في تفتيت وحدة زوايا الطريقة الرحمانية بعد النجاح الذي حققته في ثورة 1871م وهو المصير ذاته الذي عرفته زوايا القادرية والدرقاوية وباقي الطرق الأخرى، وقد أعلن في عام 1897م أن الطريقة الرحمانية مزقت إلى خمس وعشرين فرعًا لا يعترف أحدها بالآخر، وإن الطريقة الدرقاوية تفرعت إلى ثمانية فروع، والقادرية إلى ستة فروع على الأقل، وكان للتيجانية فرعان متنافسان في الجزائر وثالث في المغرب»[86].

ونسجل عموما أن الإنسان الجزائري الذي خاب أمله في الزعماء السياسيين بدأ يبحث عن منقذ لبلاده، ووجد بعد عام 1847م في الزوايا العلمية خير منقذ فارتمى في أحضانها ليعيش في عالم الروح وعالم الغنوصية هروبًا من الواقع المر الذي أصبح عليه حال البلاد، وهذا ما يفسر تعلق أفراد المجتمع الجزائري بالزوايا العلمية عند أغلب الباحثين واتباعهم لتعاليمها ومطالبها مذعنين حتى شاع عنهم التعبير الشهير "ما يأمرني به الشيخ أعمله، ولو أمرني بالإفطار في رمضان لفطرت " ولكن الخلاص المأمول لم يتحقق لأن شيوخ الزوايا العلمية والمرابطون والإشراف فشلوا في مقاومتهم الواحدة تلو الآخرى من بومعزة إلى بوبغلة إلى لالة فاطمة نسومر، وعلى الرغم من ذلك بقي تمسك أفراد المجتمع الجزائري بالزوايا العلمية قائمًا، وقد عزى الباحثون ذلك إلى التأثير البالغ الذي كان يفرضه المتصوفة وإلى اليأس الذي أصبح عليه حال الإنسان الجزائري، وفي هذه الظرفية استطاعت الإدارة الفرنسية أن تنفذ مخططاتها بتدجين بعض الطرق الصوفية وكسبها إلى صفها لتصبح أداةً تفتيت للصف وجهاز استغلالي يعمل في ركاب الاستعمار، وهذا الأمر حوَّل بعض الزوايا العلمية من مؤسسات مقاومة إلى أداة للإدارة الفرنسية في السيطرة على السكان وميّع مهمتها لتغرق في ظاهرة الشعوذة والدروشة فيما بعد، وتكمن أسباب نجاح الزوايا العلمية على الصعيد الاجتماعي خلال هذه الفترة إلى ما يلي:

- اهتمامهم بالجانب الروحي والذي يعتبره الكثير من أبناء مجتمع الصحراء الجزائرية الملاذ الوحيد من طغيان المدنية الحديثة.
- اهتمام الزوايا العلمية بالتعليم والتثقيف من خلال المدارس القرآنية وتأليف الكتب .
- استقطاب أهل التصوف لوجوه المجتمع ورجالات الفقه والعلم.
- مقاومة علماء الزوايا العلمية للمبشرين والمنصرين.

خاتمة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تمثلت في:

1. أن الزاوية نشأت لهدف ديني وسعت للاندماج الاجتماعي وللتعارف بين أفراد المجتمع لتوحيد القبائل عن طريق الوعظ والإرشاد وحل النزاعات القائمة بينها، فالزاوية كانت ولا زالت بمثابة منارة العلم ومركز للتوعية.

2. أن نظام الزوايا في الجزائر يعود الفضل في نشأته إلى شيوخ الطرق الصوفية منذ القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) ثم انتشرت في ربوع القطر الجزائري بانتشار الطرق الصوفية، حيث اتخذ المتصوفة من الزاوية مكانا لنشر أفكارهم ومناهجهم الصوفية.

3. أن الجنوب الغربي الجزائري نشطت به زوايا عدة عملت على صيانة وحدته الاجتماعية ومعالجة مختلف النزاعات والخلافات التي كادت في بعض الفترات أن تفكك أوصاله في ظروف سياسية مضطربة، كما سعت هذه الزوايا إلى توجيه أفراد المجتمع إلى الوجهة الدينية الصحيحة مما جعل زوايا الجنوب الغربي الجزائري رائدة في المجال العلمي والثقافي.

4. أن التعليم الديني للزاوية يُعد من أهم العوامل التي أسهمت في تكوين الشخصية الإسلامية لساكنة المنطقة فأضحت محافظة على هويتها العربية الإسلامية، وقد كان لأهل الجنوب الغربي كغيرهم من أهل الحواضر الإسلامية النصيب الأوفر في الأخذ بهذا الجانب حيث انتشرت الزوايا والكتاتيب القرآنية وباقي المؤسسات الاجتماعية ذات الطابع العلمي والفقهي، وكان لها الأثر العميق في ثقافة أهل هذه المنطقة، كما كان لها دور بارز في علاقات المنطقة بغيرها، وذلك عن طريق توافد طلبة العلم إليها من مختلف الحواضر.

5. أن الزاوية العلمية شكلت خلال فترة الدراسة المكان المناسب للتعلم وتحفيظ القرآن الكريم والمتون ويرجع لها الفضل في المحافظة على اللغة العربية وفي ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي وتهذيب السلوك وتزكية النفوس .

6. أن العمل الاجتماعي للزوايا لم يقتصر على احتضان طلبة العلم والتكفل بالفقراء والمساكين وعابري السبيل، وحل مشاكل الناس.... بل تعداه إلى مساندة الثوارات المسلحة والمرابطة في سبيل الله، والمساهمة في الحفاظ على رموز الهوية الوطنية والدفاع عنها أمام السياسة الاستعمارية الفرنسية.

7. أن الزوايا العلمية قد أفشلت المخطط الاستعماري النصراني، وفضحت نوايا الجمعيات التنصيرية ورواد التبشير في المنطقة. ويسجل التاريخ لكثير من الزوايا العلمية في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية مواقف لا تنقصها الشجاعة إزاء مواجهة العدو ورد الظلم والدفاع عن مصالح الطبقات الفقيرة المستضعفة.

الحواشي:

[1]- مُحَمَّد المأمون (مصطفى القاسمي الحسني)، (محرم، 1421هـ / ماي 2000م)، **واقع الزوايا اليوم**، الملتقى الوطني الأول للزوايا (الزوايا وحماية الشخصية الوطنية)، أدرار، ص3 .

[2]-رواه ثوبان، وأخرجه في صحيحه الرقم 7238 .

[3]-رواه أبو هريرة، أخرجه السخاوي(مُحَمَّد بن عبد الرحمان) ، **البلدانيات**، تح. حسام القطان، دار العطاء، 2001م، الرقم 33 واللفظ له، كما أخرجه أبو داود (2598)، و الترمذي (3438) والنسائي (5501) وأحمد (9205) باختلاف يسير .

[4]- باي بلعالم(مُحَمَّد)، **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**، ج1، الجزائر، دار هومة، 2011م، ص 340 . باي بلعالم(مُحَمَّد)، **أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة**، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، ماي 2000م، ص1.

[5]- راجع :- سعد الله (أبو القاسم)، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003، ص18.

[6] – أجي بريل، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج17، تح: هونسمات وآخرون، 1988م، ص524.

[7] – نقلاً عن: سعد الله(أبو القاسم)، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص18

[8] – أجي (بريل)، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج17، مرجع سابق، ص525.

[9] – باي بلعالم(مُحَمَّد)، **الرحلة العلية** ، ج1، مرجع سابق، ص 340 .

[10] – تركي(رابح)، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية، 1931 – 1956م**، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص 17 .

[11] – العقبي(صلاح مؤيد)، **الطرق الصوفية في الجزائر تاريخها ونشاطها**، بيروت، دار البراق، 2002م، ص 20 .

[12] – دبوز(مُحَمَّد علي)، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2003م، ص –ص 45، 46 .

[13] – جعفري(أحمد)، **دور الزوايا في الحفاظ على التراث والمخطوط بإقليم توات بالجزائر**، مجلة التراث، ع112، الإمارات العربية المتحدة: 2008/12م، ص132.

[14] – العقبي صلاح مؤيد، مرجع سابق، ص302

[15] – يحي (بوعزيز)، **أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19م و20م**، مجلة الثقافة، مج11، ع60، وزارة الإعلام والثقافة الجزائر، ص 18 .

[16] – يحي (بوعزيز)، **مرجع سابق**، ص 19

[17] – نقلا عن: – بونابي(الطاهر)، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ –7هـ و12م – 13م**، دار الهدى، عين مليلة، 2004م، ص 22 .

[18] – عاشوري(أحمد)، **الأصول السوسيوثقافية للزوايا في الجنوب الغربي للجزائر، زاوية سيدي أحمد المجدوب**، ولاية النعامة نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، إشراف حمداوي مُحَمَّد، جامعة أبوبكر بلقايد، 2011م، ص 8 .

[19] – قلاتي(البشير)، **منهج التربية الروحية عند الصوفية**، مذكرة موجهة لطلبة سنة ثانية ماستر، دعوة ثقافية إسلامية، 2014م، ص 12 .

[20] – ابن خلدون (عبد الرحمان):**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، مج2، لبنان: دار الكتب العلمية 1992م، ص323– أنظر أيضاً: –خليل مسعود، مُحَمَّد بالي، **زاوية الشيخ بلعموري بسيدي عيسى ودورها الدعوي والتعليمي**، مذكرة ماستر في العلوم الإسلامية، تخصص دعوة وأعلام، إشراف د. علي خصرة، جامعة الوادي، 2019م، ص 14 .

[21] – سعد الله(أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10هـ إلى القرن 14هـ**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1992م، ص– ص 198– 261 .

[22] – طيب (جاب الله)، **دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري**، مجلة المعارف، ع14، جامعة البويرة، الجزائر، 2013م، ص 8 .

[23]– سعد الله(أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص 272 .

[24]– طيب (جاب الله)، **مرجع سابق**، ص 4 .

[25] – باجي(عبد القادر)، **الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية ووثوثيقية**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م، ص 94 .

[26] – العقبي(صلاح مؤيد)، مرجع سابق، ص 302 .

[27] – المرجع نفسه، ص 301 .

[28]– العقبي(صلاح مؤيد)، مرجع سابق، ص 302.

[29] –مصطفى (بن دهينة)، **قطوف من تاريخ تندوف، مقاربة في مسيرة الكفاح الوطني بمنطقة تندوف خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر**، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م، ص 11 .

[30] – عبد الله (حمادي الإدريسي)، **مناقب ومآثر آل بلعمش الجكنيين بالحاضرة الصحراوية تندوف**، سلسلة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار، الجزائر، وزارة الثقافة، 2013م، ص 73.

[31] – المرجع نفسه، ص 73 .

[32] – عبد الله (حمادي الإدريسي)، **مناقب ومآثر آل بلعمش الجكنيين**، مرجع سابق، ص 74 .

[33] – المرجع نفسه، ص 75 .

[34] – المرجع نفسه، ص 95 .

[35] – المرجع نفسه، ص 95 .

[36] – المرجع نفسه، ص 95 .

[37] – عبد الله (حمادي الإدريسي)، **مناقب ومآثر آل بلعمش الجكنيين**، مرجع سابق، ص 96 .

[38] – برشان(مُحَمَّد)، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار، 1903م – 1962م**، دار أم البراهين للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013م، ص 344 .

[39] – عبد الله (حمادي الإدريسي)، **مناقب ومآثر آل بلعمش الجكنيين**، مرجع سابق، ص 97 .

[40] – بلعالم (مُحَمَّد باي)، **الرحلة العلية**، مرجع سابق، ج1، ص 66، يراجع أيضاً: – جعفري(مبارك)، **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12م**، دار

السبيل، الجزائر، ط1، 2009م، ص 122، بكري(عبد الحميد)، **النبذة في تاريخ توات وأعلامها**، مطبعة الطباعة العصرية، 2010م، ص 67 وما بعدها .

[41]– الجوزي(عبد الرحمن)، **ذاكرة الماضي في حياة أولاد القاضي**، مخطوط: (بحث مكتوب بواسطة الحاسوب)، ص 9 .

[42] – البكراوي(مُحَمَّد)، **الجوهرة**، الورقة 9، وجه وظهر، نقلا عن عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 120.

[43]– التمنطيطي (مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق)، **جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني**، مخطوط بخزانة تمنطيط، أدرار، مخطوط بخزانة شاري الطيب بن عبد الله، كوسام .

[44]– البكراوي (مُحَمَّد بن عبد الكريم)، **درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، وبخزانة أبناء عبد الكبير، المطارفة، الورقة 15 ظهر .

[45]– التنيلاني (عبد الرحمان بن عمر) **فهرسة عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي**، خزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار، الورقة 03 وجه .

[46]– العياشي أبو سالم، **الرحلة العياشية إلى الديار النورانية (ماء الموائد)**، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ج1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، أبو ظبي، 2006م .

[47] –للتوسع يراجع: – الزجلاوي (عبد الرحمان)، **أرجوزة شبكة القناص في نظم درة الغواص**، مخطوط، بخزانة مولاي سليمان، أدرار .

[48] –حسوني (مُحَمَّد)، **اللبانة الرمزية**، مطبعة الريان، الجزائر، 2007م، ص – ص 119– 120 .

[49] – عبد الله (حمادي الإدريسي)، **إتحاف بني قومي ببعض أخبار حاضرة تاغيت وبلادها بني قومي**، مرجع سابق، ص 67 .

[50]– المرجع نفسه، ص 536 .

[51]– جعفري(مبارك)، **الزوايا ودورها التربوي الإسلامي في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر**، أعمال المؤتمر الدولي الثاني رؤى تربوية اسلامية معاصرة واقع وطموح، جامعة أدرار، الجزائر، 2012م، ص 8

[52] – الكنتي(أحمد)، **دور آل كنتة في نشر الإسلام**، أعمال الملتقى الثاني حول دور آل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية المنعقد بتاريخ 20 ماي 2004م، زاوية كنتة، أدرار، ص 4 .

[53] – باجي(عبد القادر)، مرجع سابق، ص 52 .

[54] – للتوسع يراجع: الجنتوري(عبد الرحمن)، **رسالة قول بيع أصول الهاربين في المغارم**، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام أدرار، ص 32 .

[55] – وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، **علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية**، أعمال ملتقى دور علماء السّاورة في خدمة الثقافة الجزائرية بشار، 2010م، ص 52 .

[56] – السوسي(مُحَّد المختار)، **المعسول**، مطبعة النجاح، المغرب الأقصى، 1962م، ص 165 .

[57] – دباغ (مُحَّد)، **دراسات في التراث**، الجزائر، دار الغرب، 2008م، ص 110.

[58] – ابن خلدون(عبد الرحمان)، مصدر سابق، مج2، ص 702.

[59] – الخطيب (عمر عودة)، **المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية**، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص27

[60] – للتوسع يراجع: – ابن خلدون (عبد الرحمان)، مصدر سابق، مج7، ص.ص (68-86). – البكراوي(مُحَّد بن عبد الكريم)، **درة الأقلام**، مخطوط بالخزانة البكرية– تمنطيط، – مُحَّد الطيب (بن عبد الرحيم)، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**،تح،فرج محمود فرج، الجزائر:د.م.ج. 1977،ص17

[61]– الإدريسي (مولاي أحمد الطاهري)، **نسيم النفخات في ذكر أخبار توات**، مخطوط بخزانة الشاري الطيب، كوسام، تح – مولاي عبد الله الطاهري، الجزائر، دون دار النشر، 2010م، ص-ص 33، 34 .

[62] .– يحي (بوعزيز): **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب** ج1،الجزائر ،دار الهدي ،2009،ص،ص(237، 238)

[63] . **مقابلة مع سليماني(علي)** مقدم الطريقة بآدغا، مقر ديوان المحو الأمية بأدرار، ولاية أدرار.

[64] . **مقابلة مع سليماني(علي)** مقدم الطريقة بآدغا، مقر ديوان المحو الأمية بأدرار، ولاية أدرار.

[65] . مقدم (مبروك)، **مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي**، ج1، دار هومه، الجزائر، 2008م، ص19.

[66] . بن السويسي (مُحَّد): **العمارة الدينية في منطقة توات (تمنطيط) نموذجاً، من القرن 6ه إلي 10ه/ 12إلي 19م**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ،إشراف د. عبد العزيز لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2007. 2008م/ 1428. 1428ه، ص111

[67]– . مقدم (مبروك)، مرجع سابق، ص32.

[68] – قلوم (المكي): "**مجتمعات الزوايا ووظائفها التاريخية في المكان والزمان المغاربي** "، أعمال الملتقي الثاني حول تاريخ كرزاز، ولاية بشار الجمعية الثقافية الولائية، الجزائر، من 29الي 31 مارس،ص7

[69]– باي بلعالم(مُحَّد)، **أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة**،مرجع سابق، ص11.

[70] . شهبي (عبد العزيز): **الزوايا والصوفية والعزابة الاحتلال الفرنسي في الجزائر**، بيروت، د ت، ص.دار الغرب الإسلامي، 45

[71] . قلوم المكي، مرجع سابق، ص8

[72] – عشراتي (سليمان)، **العالم الإسلامي خلال القرنين (18–19)م**، الجزائر، دار الغرب للنشر، 2004م، ص ص(13–14) – للتوسع يُنظر: هشام (شرابي)، **المثقفون العرب والغرب**، بيروت: دار الفكر 1998م، ص ص(33–60) – ينظر أيضاً: ندوات الفكر المعاصر، **التغيير مفهومه وطرائقه**؛ بيروت: دار الفكر، 1998م.

[73] – حرب (أديب)، **التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري**، ج1،الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م، ص 02.راجع أيضاً: –الخطيب (أحمد)، **الثورة الجزائرية (دراسة وتاريخ)**، بيروت: دار العلم للملايين، 1958م، ص17.يراجع أيضاً:

– Kaddache (Mahfoud)، **Histoire du Nationalisme Algérien question Nationale et Politique Algérienne (919–1951)**، T1، Alger: S.N.E.D.1980. P30

[74]– العقبي(صلاح مؤيد)، مرجع سابق، ص78.

[75] – Agéron (Ch.R)، **L'Algérie Algérienne de Napoléon III à De gaulle**، Paris: Sinbad، 1980، PP (39-61).

[76] – للتوسع يراجع: – زوزو(عبد الحميد)، **ثورة بوعمامة 1881 – 1908**، الجزائر، ش.و.ن.ت . 1981

[77] – عمارة (بن خليفة)، **المنابع الروحية وأسلاف الشيخ بوعمامة**– الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الشيخ بوعمامة مابين9 و2001/04/10 – النعامة–2001 –ص06 – للتوسع أكثر راجع: سعد الله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية(1900–1930)**، ط4، ج2 – يحي (بوعزيز)، "**نماذج من مقاومات سكان الواحات**"، الأصالة، الجزائر: جانفي 1977م ص.ص(117– 134)

[78] – للتوسع يراجع – عمارة بن خليفة، مرجع سابق، ص7، –يحي (بوعزيز)، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**–ج1–ط2–منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر، 1996م.

[79] – مياسي (إبراهيم)، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م، ص–ص 33–34.

[80] – للتوسع أكثر راجع: سعد الله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية(1900–قضايا 1930)**، ط4، ج2 مرجع سابق، ص 102.– راجع أيضاً: – قنان (جمال)، **ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص 157. – الخرفي (صالح)، **الجزائر والأصالة الثورية**، الجزائر ش.و.ن.ت، 1977م– عبد العظيم (رمضان)، **الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة**، القاهرة: دار المعارف، 1985م – هلال (عمار)، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا**، الجزائر: بلا ناشر، 1988م. – جلال (يحي)، **الثورة العربية**، بيروت: دار المعرفة، 1959م، ص 83 وما بعدها. – غليسبي (جوان)، **الجزائر الثائرة**، تر. خيري حماد، بيروت: دار الطليعة، 1961م، ص 34.– جغلول (عبد القادر)، **تاريخ الجزائر الحديث**، تر: فيصل عباس، بيروت: دار الحداثة، 1983م.– جوليان (ش،أ)، **تاريخ أفريقيا الشمالية**، ج1،ج2، تونس: الدار التونسية لنشر، 1969م.– جوليان (ش،أ)، **أفريقيا الشمالية تسير**، تونس: الدار التونسية للنشر، 1976م.

– Ageron (CH.R)، **Histoire de l'Algérie contemporaine (que –sais –je ?)** Paris، P.U.F.1977، P8 – Mahsas (A)، **Le Mouvement Révolutionnaire en**

Algérie.، Paris: Ed، L'Harmattan، 1979، P26- -
Bontens(Claude)، **Manuel des institutions Algériennes**، T2، Paris: Ed.Lucas، 1976

[81] – غيتاوي (مولاي التهامي)، **سلسة النواة في أبرز الشخصيات من علماء وصالحي إقليم توات**، ج2، الجزائر، منشورات الشركة الوطنية للنشر والإشهار، 2005م ،ص32.

[82]– Bellil R., **Les oasis du Gourara** (**Sahara algérien**) : Le temps des saints, Éditions Peeters, Paris-Louvain. (1999); p 22 - **revoir aussi** :- Bisson J., « **Ksour du Gourara et du Tafilelt**, **de l'ouverture de la société oasienne à la fermeture de la maison** », Éditions CNRS, In Annuaire de l'Afrique du Nord, Tome XXV. (1986).

[83]– مصطفى (خالدي) – عمر (فروخ)، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، بيروت، 1986، ص.45، نقلا عن كتاب:

The missuinmary out houk en the light of war and the religions out look, n, y, **1920**, p, 35.

[84]– سعيد (عليوان)، **التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر الجزائري، 2001م، ص. 997.

[85] – مصطفى (خالدي) – عمر (فروخ)، مرجع سابق، ص. 48. نقلا عن كتاب:

- Julins Rivheter, **A history of the protestant missions in the near** (Englih translation adapted by the Author), N,Y 1910, p80

[86] – أنظر: سعد الله، (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، المرجع السابق، ص . ص (31 . 32) . و العقبي(صلاح مؤيد)، مرجع سابق، ص-ص (330 . 336).